المحاضرة الثالثة

أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة، وأسباب نشوئها واختلافها.

أولاً: أهميّة دراسة اللهجات العربية القديمة.

١) اللَّهجات العربية تُعَدُّ ثَروة لُغَوية ، ووجهًا من وجوه العربية الواسع العريض ، فهي متعددة الصفات والخصائص ، وتحمِل في طيَّاتِها ظواهر لغوية متنوعة ، تتعلَّق بالأصوات والمفردات والتراكيب والدَّلالات ، وفيها من الظواهر النَّحوية والصَّرفية الشيء الكثير.

٢) تُفيد في معرفة مصادر القِراءات المختلفة ، التي رُوِيَت لنا بلا عزو إلى لهجَةٍ مُعَيَّنة ، وكذلك توجيه القراءات بحَملِها على لهجَةٍ من اللهجات العربية.

٣) تُساعدنا على الفَهم الحَسن لطبيعة اللغة ومراحل نشوئها ، وتطورها وبيان تاريخها، والكشف عن تأثير البيئة في ذلك كله.

٤) تُعيننا في نسبة كثير من اللهجات الحديثة وإعادتها إلى اللهجات القديمة ، فألقاب اللهجات تفيدنا كثيرًا في رسم الخريطة اللغوية للتوزيع اللهجي ، وانتشار القبائل العربية ، وهجرتها ومناطق سكناها قديمًا وحديثًا.

٥) تساعدنا على تفسير بعض الظواهر اللغوية ، وإلقاء الضوء على ما يُصادفُنا من تَعَدُّد الوجوه في قضية من قضايا اللغة.

٦) يُمكِن عن طريقها معرفة التَّطور في دلالات الألفاظ ، ومعرفة ما تؤدِّيه تلكَ الألفاظ من معانٍ مُختلفة تبعًا لاختلاف البيئات.

ثانياً: أسباب نشوء اللهجات:

من الصعوبة تحديد الحِقبَة التي يتم خلالها تكوُّن اللغة إذ اللهجة تَمُر بمرحلة من التطور إلى أن تختصَّ بسِمات مُعَيَّنة تُميِّزُها عن اللغة الأم وعن غيرها من اللهجات، فليس من السَّهل تحديد تاريخ هذه اللهجة أو تلك، إذ لم تقف على تاريخ اللغة ، ولم نعرف شيئًا عن طفولتها في تلكَ الحِقبة السَّحيقة من الزمن.

وقد ذكر العلماء أسبابًا أدَّت إلى نشوء اللَّهجات ، وسنبحثها على النَّحو الآتي:

١) أسباب تتعلَّق باللهجات عامة (أي في العالم) سواء أكانت عربية أم غير عربية.
٢) أسباب تتعلَّق بلهجات القبائل العربية ، وأحيانًا تشترك الأسباب بينها.

وقد أوجَزَ بعض الباحثين في شرح ذلك ، وفصَّلَ آخرون. فرَدَّ بعض علماء اللغة نشوء اللهجات في العالم إلى عاملين رئيسين:

أحدهما: الانعزال بين بيئات الشعب الواحد ، أو بعبارة أخرى الانعزال الجغرافي والاجتماعي بين بيئات الشعب الواحد[١] ، وذلك عندما تفصل العوامل الطبيعية من جبال أو أنهار أو صحارى أو نحوهما بين بيئات اللغة الواحدة ، فتنعزل إحداهما عن الأخرى ، وتتطور كل بيئة في ظروف بيئية واجتماعية مختلفة عن ظروف البيئة الأخرى ، فتتكوَّن بيئة زراعية هنا ، وبيئة صناعية هناك ، وبيئة رعوية أو تجارية هنالك ، وتختلف الظروف الاجتماعية في كل من هذه البيئات عن البيئة الأخرى تبعًا لذلك.

إذن: إنَّ انتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يُكَوِّن لهجات ، لا تلبث أن تستَقِل وتتميَّز بصفات خاصة[٢] ، وكذلك نظام المجتمع واختلاف طبقاته[١] ، وتغيُّر أحواله قد يُسبِّب تفرُّع لغته إلى لهجات.

---

(١) أو اختلاف البيئات الجغرافية وتنوُّع الظروف الاجتماعية.

(٢) فأبناء اللغة الواحدة حينما تُفَرِّق بينهم المسافات ، وتتم العُزلَة [أي عدم اتصال المجموعات البشرية لسبب من الأسباب يؤدي بمرور الزمن إلى نشوء خصائص لهجية أخرى] وتنقطع أسباب الاتصال والاحتكاك لابُدَّ أن

والآخر: الصِّراع اللغوي[٢] نتيجة غزو أو هجرات[٣] ، أو بعبارةٍ أُخرى احتكاك اللغات واختلاطها الناجم عن الغزو أو الاحتلال أو الهجرة أو التجاور ، وهو صراع لا تكاد تنجو منه لغة من اللغات. وهو يؤدي في النتيجة إلى اختلال في الأداء ، وفقدان اللغة خصائصا ممَّا يُوَلِّد عادات كلامية أو طرائق في الأداء تتميَّز عن اللغة الأم. فالخلاصة إنَّ الاتصالات البشرية للمنافع أو للسيطرة واتصال اللغات نتيجةً لذلك يُعَدُّ عاملًا من عوامل اختلاف اللغات عن أصلها بما يُفرِّقُها إلى لهجات.

ومن الأسباب التي ذكرها بعض الباحثين أيضًا: اختلاف الأفراد في النُّطق أو (المغايرة الفردية) وهي أسباب فردية ، والمراد من المغايرة الفردية أنَّ كل فرد في المجتمع له طريقة وصوت مُعيَّن في إخراج الكلمات المنطوقة ، وهذا التغيير الصَّوتي في الشدَّةِ واللِّين والنَّبرة وغيرها ، هو أمرٌ لا إرادي يصعُب على الإنسان التَّحَكُّم به ، وبعد مرور عدَّة أجيال مُتعاقبة يترك ذلك أثره في اللهجات السابقة.

وكذلك لا يُمكن أن تتجاهل الظروف السياسية والاقتصادية والدينية ، لما لها من أثَر فاعِل في نشأة اللهجات.

يختَلِفُوا في تناولهم للمفردات اللغوية واستعمالهم اياها ونطقهم لها ، ومن ثَمَّ يكون الانعزال البيئي أو الجغرافي انعزالًا لغويًا ، تتوزَّع من خلاله اللغة إلى لهجات ولا يتم ذلك إلَّا في تاريخ طويل.

(١) فاختلاف الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة لابُدَّ أن يؤدي في نهاية الأمر إلى اختلاف في اللهجات فانقسام المجتمع إلى طبقات يؤدي إلى تكوُّن لهجة خاصة لكل طبقة ، ويُمكن أن تكون لكل مهنة لهجة خاصة فللتجارة لهجتها ، وللزراعة لهجة أخرى...وهكذا.

(٢) إذا التقى شخصٌ يتكلَّم بلغة أو لهجة مُعيَّنة غَيرَهُ ، حدَثَ واحد من ثلاثة أُمور:

أ- تمسّك بلغته أو لهجته الأصلية.

ب- انتقال لسانه إلى اللغة أو اللهجة الجديدة.

ت- اجتماع لغته أو لهجته مع لغة أو لهجة غيره.

(٣) أي هو الصراع اللغوي الذي يحدُث بين لغتين غازية و مغزوَّة ، أو نتيجة هجرة شعب من الشعوب وسكناه مع شعب آخر في بيئة أُخرى ، ونتيجة الاختلاف بين الشعبين يحصُل احتكاك بين لغتين فتُطفي إحداهما على الأخرى فتؤثِّر فيها أو رُبَّما يكون التَّأثير متبادَلًا فتأخُذ كل واحدة ما تراه مناسبًا لها.

ثالثاً :أسباب اختلاف اللهجات العربية[١]:

إنَّ لهجات اللغة العربية أنشأتها مقومات متنوعة ، وكذلك كان لاختلافها عدَّة أسباب هي على النحو الآتي :

أ- الأسباب الجغرافية

ب- الأسباب الاجتماعية وهي قسمان :

١- **كثرة متطلبات الحياة:** فكانت حياة العرب حياة غير معقدة ، وحاجاتهم محدودة وحياة كهذه تستدعي لهجة تناسبها دون أن تفوقها ، ذات مفردات قليلة . لكن مع مرور الأيام والسنين ازدادت مطالب الحياة ، وكثرت التنقلات فتوسعت لذلك اشتقاقات الالفاظ والتصرفات اللغوية ، وبدأت لهجات عربية جديدة تظهر في الجزيرة العربية تلبية لمتطلبات الحياة .

٢- **انعزال القبال وأفرادها:** وذلك يكون بانعزال قبيلة عن القبائل الأخرى ، او بانعزال أفراد القبيلة الواحدة عن بعضهم لأسباب تفرضها ضرورات الحياة.

ت – احتكاك اللغات واختلاطها: إمَّا أن يكون ذلك في الحرب أو في حالة السلم ، واحتكاك اللهجات في حالة السلم يكون من خلال الأسواق والهجرة تحت أي ظرف من الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية يترك الإنسان أرضه ويهاجر إلى مكان آخر ، سواء أكان ذلك برغبة أم رغمًا عنه طلبًا للرزق وغير ذلك .

ث – الأسباب الفردية

فالأطفال – مثلًا – يُلاحَظُ أنَّهم ينطقون ألفاظًا بنُطقٍ يَختلِف عن نُطق الكبار ، بسبب عدم تصحيح أهلهم لهم هذا النطق غير السليم مما وَلَّد ظاهرة لهجيَّة جديدة.

---

(١) يُلاحَظ توافق العديد من جزئياتها مع الأسباب العامة لنشأة لهجات اللغات الأخرى.